المقـدمة

الحمد لله على ما تواتر من نعمائه، والشكرُ له على ما توافر من آلائه، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمد الذي بلَّغ الأحكام ومعالم الإسلام، وعلى آله وصحبه الذين قاموا بدعوته فبلَّغوها، ورَعَوا الأمانة فأدّوها، وعلى من حفظ أحاديثه وآثارَه وَوَعَاها، وأسندها إلى مَنْ بَعْدَه فأدَّاها، صلاةً دائمةً لا تُعَدُّ ولا تُحَدُّ ولا تَـتَناهى.

وبعد... لقد وفَّق الله تعالى هذه الأمة إلى حفظ حديث نبيها، فنقلته بعدالةٍ وتَواتُرٍ وضَبْط، فمنذ فجر الرسالة عني به المسلمون، وقاموا على حفظه والرحلة في طلبه، والمبالغة في التثبُّت من صحته، ووضعوا لذلك الأصولَ والقواعدَ صيانةً للسنَّة من زيف المبطلين وعبث المُغْرِضين.

وكان من بين أولئك العلماء الذين اجتهدوا حتى بلغوا الذُّروة وأدركوا الغاية الإمام محمد بن إسماعيل البخاري الذي كان أوّلَ من صنف في الصحيح المجرَّد، واتَّفق جمهور العلماء على أن كتابه أصح كتب السُّنَّة وأكثرها فائدةً، وأبدعها منهجاً، وأدقّها استنباطاً.

وتفانى كبار العلماء قديماً وحديثاً في خدمته فتناولوه شرحاً لمسائله وتوضيحاً لغوامضه وتنبيهاً على منهجه، فأغنوه بالشرح والاستنباط، وخدموا ألفاظه، واعتنوا بلغته وأبدعوا في ذلك، فهم لم يحيطوا بعلوم الشريعة فحسب،

بل كان لهم الباع الطويل في إتقان علوم اللغة وخدمتها، وكان كثير منهم أعلم الناس بدقائقها وحقائقها، كيف لا وعلوم اللغة مع علوم الشرع صنوان لا ينفكُّ أحدها عن الآخر.

وكان الإمام العيني أحد العلماء المبرِّزين في هذا الشأن، فهو عالم حديثيٌّ متقن، ولغوي نحوي بارع متفنِّن، ذو تآليف كثيرة مفيدة يصعب حصرها، من أجلِّها عمدة القاري شرح صحيح البخاري، إذ هو من أهم شروح صحيح البخاري وأوسعها نقلاً وتحقيقاً، وأجمعها للفوائد بحثاً وتمحيصاً، اتَّبع فيه طريق البسط والإيضاح مع حسن الجمع والترتيب والتنسيق، فغدا موسوعة حديثية تتوارد فيها البحوث اللُّغوية والنَّحوية والصَّرفية والبلاغية، فضلاً عن الاستنباطات الفقهية والفوائد العملية.

ونظراً لمكانة الإمام العيني العلميَّة، ولأهمية كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري تطلَّعت إلى خوض غماره وسبر أغواره تحدوني رغبتي في إظهار منهجه، وإبراز العلوم المتنوعة التي شملتها عنايته.

وطالت رحلة الإمام العيني في عمدته، وامتدت معها سني بحثي، أشقُّ خلالها طريقاً طويلاً تكتنفه صعوباتٌ شتَّى ومسالك وعرة، فضخامة الكتاب لا تخفى على مطالعه، فقد تجاوز عشرة ألاف صحيفةٍ تشتمل على علوم حديثية ولغوية ونحوية وصرفية وبلاغية، لو أُفْرِدَ كلٌّ منها بالبحث والدراسة لكوَّن رسالة علمية متكاملة.

فشمَّرت عن ساعد الجدِّ، مستعينةً بالله تعالى، وجمعت أركان البحث ولممت جوانبه ومباحثه، معتمدة على منهج تحليلي وصفي، فرُمت التحقق

والتمحيص، وكنت أناقش آراء الإمام العيني وأحكامه بعد عرضها على أقوال العلماء، واقفة ما استطعت ـ موقف المحايد المنصف ـ.

وجعلت البحث في ثلاثة أبواب؛ خصصت الباب الأول لدراسة حياة الإمام العيني والتعريف بكتابه، فجعلته في فصلين اشتمل أولهما على دراسة عصره الذي انعكست آثاره على نتاجه الفكري، ثم عرَّجت على الحديث عن حياته الشخصية والعلمية، مظهِرةً تأثُّره بعصره وتأثُّر عصره فيه.

وفي الفصل الثاني تناولت التَّعريف بعمدة القاري، ومهَّدت له بالحديث عن صحيح البخاري ومنهجه، وبيان جهود العلماء في خدمته ولا سيما في شرحه، مفْضِيةً إلى التعريف بعمدة القاري وتبيان منهج الإمام العيني فيه، وأتبعت ذلك بسردٍ لأهمِّ مصادره التي رَبَت على الألف، ثم ناقشت موقف الإمام العيني من فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى لأهمية تلك القضية.

انتقلت بعد ذلك إلى الباب الثاني الذي تناولت فيه جهود الإمام العيني الحديثية، وقسمته إلى أربعة فصول، اشتمل الأول منها على جهوده في دراسة أسانيد الصحيح، فبينت جهوده في دراسة سلسلة الأسانيد، وبيان مذهب الإمام البخاري في طرق الرواية المتنوعة، مع بيان صيغ الأسانيد المختلفة ولطائفها.

ولفتُّ بعد ذلك إلى بيان جهود الإمام العيني في تعريف رواة الصحيح وبيان أحوالهم، وشملت بالبيان كلَّ ما يتصل بعلوم الرواة، وهي: علوم أسماء الرواة، وعلوم الرواة التاريخية وعلوم أحوال الرواة.

أما الفصل الثاني فجعلته لدراسة جهوده في دراسة متون صحيح البخاري وقسمته إلى مبحثين، الأول في بيان تراجم البخاري ومناسباتها لما لها من اتصال

قوي بمعاني المتون، فأبرزت منهج العيني في دراستها مقارِنةً جهودَه بجهود سواه من العلماء.

أما المبحث الثاني فجعلته لبيان عنايته بمفردات الأحاديث جميعها ووسائله في ذلك، ثم بيَّنت منهجه في الوقوف على المعاني الدَّقيقة للأحاديث، ودرست موقفَه من مختلِفِ الحديث ومنهجه في دراسته.

انتقلت بعد ذلك إلى الفصل الثالث الذي درست فيه جهوده في تخريج الأحاديث والحكم عليها، واشتمل على ثلاثة مباحث، هي: تخريج أحاديث الباب وما ينضوي تحته من مسائل، ثم دراسة المُتَابعات والشَّواهد وتخريجها، ثم جهوده في دراسة المعلَّقَات في صحيح البخاري وتخريجها.

وفي الفصل الرَّابع بيَّنت جهود الإمام العيني في مناقشة الأحاديث وبيان عللها، وذلك ضمن مبحثين، خصصت الأول لمناقشة الأحاديث المنتقدة في صحيح البخاري وموقف الإمام العيني منها، وجهوده في ردِّ عللها، والثاني بيَّنت فيه جهوده في مناقشة الأحاديث التي وردت في سياق مسائله الفقهية واستشهاداته لها، وهي أحاديث متنوعة في درجات قبولها وردِّها، فأبرزت منهجه في تصحيح الأحاديث وتعليلها، ومدى موافقته لقواعد علم النقد، ولأقوال علماء الرجال والعلل.

انتقلت بعد ذلك إلى الباب الثالث، وهو في دراسة جهوده في علوم اللغة العربية، وقسمته إلى ثلاثة فصول في اللغة والنحو والصرف.

فأما الفصل الأول فعكفت فيه على دراسة جهوده في اللُّغَة، وأظهرت منهجَه التفصيليَّ وسلوكَه طريقَ الباحثين المُعْجَمِيِّين في إظهار معاني المفردات، ثم منهجه في دراسة الدلالة وتطورها بمسالكها المتعددة، ووقفت على بعض

الظواهر اللغوية وهي الاشتقاق، والتَّرادف والاشتراك اللفظي والأضداد والتذكير والتأنيث، ثم بيَّنت جهوده في دراسة اللَّهَجَات وبيان مظاهرها وتحديد مستوياتها.

انتقلت بعد ذلك إلى الفصل الثاني الـذي رصـدت فيـه جهـودَه النَّحويـة، وأظهـرت تميُّـزه علـى شـروح صـحيح البخـاري فـي عنايتـه بالقضـايا النحويـة والمسائل الإعرابية المتصلة بالمعاني.

وجعلت هذا الفصل في ثلاثة مباحث، الأول في آرائه واختياراته في الأدوات وحروف المعاني، والثاني في آرائه واختياراته في بعض القضايا النحوية التي وقف عندها.

أما المبحث الثالث فبيَّنت فيه منهجه في إعراب الحديث النبوي، مظهِرةً من خلال ذلك تناوله للإعراب ومظاهر التوسُّع فيه، وموقفه من الصناعة النحوية، مع عرض اختياراته على آراء النحويين موافقةً أو مخالفةً.

ثم كان الفصل الأخير لبحث جهوده الصرفيَّة المتميِّزة التي أغنى من خلالها معاني المفردات بالتفصيل والتوضيح والتحليل، ووقوفه على بعض القضايا الصرفية الرافدة للمعاني.

وختمت بعد ذلك بخلاصة لأهم مباحث البحث.

وبعد... فهذه خلاصة جهدي وغاية عنايتي، أقدِّمها راجيةً عذري فيما أخطأت فيه أو وهمت أو عثرت لطول البحث وتشعُّب مسالكه، أو لخطأ مني تلمَّست فيه وجهاً لم أقارب فيه صواباً.

فأنا لا أدَّعي أني أوفيت الغاية، ولكن حسبي أني أخلصت النية، وبذلت الجهد، غير باخلة في ذلك بالوقت والعافية.

وإنـني إذ أتقدَّم بهذا البحث أتمثَّل قول الله تعالى ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾[الرحمن: ٦٠] فأجـدني عاجزة عن تقـديم شـكري وامتناني لأسـاتذتي

الكرام الذين كانت لهم الأيادي البيضاء في خروج هذا البحث إلى النور.

فأقدِّم جزيل الشُّكر والتقدير والإكبار إلى أستاذي فضيلة الشيخ الدكتور نور الدين عتر الذي رعى هذا البحث في كل مراحله دعماً ومتابعة، فأخذ بيدي إلى نهاية مسالكه مرشداً ومعيناً بتوجيهاته العلمية الفذَّة وملاحظاته السديدة النافعة، فجزاه الله عني خير الجزاء، وأدامه ذخراً للأمة الإسلامية، وعَلَماً من أعلام نشر السنة النبوية وخدمتها.

كما أتقدَّم بالشكر الجزيل إلى أستاذتي الدكتورة أميمة بدر الدين التي بذلت الجهد، وتابعت البحث في مراحله جميعاً مرشدةً ومعينةً، وكانت صدراً رحباً لكل سؤال أو استفسار يعترضني.

ولا أملك إلا اعترافاً بالجميل مع عظيم الامتنان إلى الأستاذ الدكتور نبيل أبو عمشة الذي منحني من علمه الغزير ووقته الثمين، فجزاه الله خير الجزاء، وكذلك أقدِّم كلَّ الشكر والعرفان لأستاذي الدكتور أيمن الشوا الذي مافتىء يمنُّ عليَّ بعلمه ووقته مرشداً وموجِّهاً فجزاه الله عني خيراً.

وإلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة كلّ الاحترام والتقدير لبذلهم الجهد في قراءة البحث، وتكرُّمهم بتقديم الملاحظات القيِّمة والتوجيهات السديدة التي ستغني البحث وتقوِّم ما اعوجَّ منه. سائلةً المولى عزَّ وجلَّ أن يجزيَ أساتذتي جميعاً عني كلَّ خير، فهو أهل الجزاء والإحسان، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، فهو المستعان وعليه التُّكْلان.

❐ ❐ ❐